

التفسير المحرر 16-10116-1.0

قال الخَضِرُ لموسى: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَصْحَبَنِي: إِنَّكَ لَنْ تُطِيقَ الصَّبْرَ عَلَى اتِّبَاعِي؛ لِمَا تَرَاهُ مِنْ أَعْمَالِي الَّتِي ظَاهِرُهَا مُنْكَرٌ، وَإِنَّكَ لَنْ تَصْبِرَ عَنْ سُؤَالِي عَنْ أَعْمَالِي؛ لِأَنَّكَ لَمْ تُحِطْ بِهَا خُبْرًا؟!

قال موسى للخَضِرِ: إِنَّ سَأَلْتُكَ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ، ففَارَقْتَنِي، وَاتْرَكَ صُحْبَتِي، قَدْ وَصَلْتَ إِلَى حَالٍ تُعْذِرُ فِيهَا فِي مُفَارَقَتِي، وَتَرَكِ مُصَاحِبَتِي؛ وَذَلِكَ بِاعْتِرَاضِي مَرَّتَيْنِ، وَاحْتِمَالِكَ لِي فِيهِمَا

فَانْطَلَقَ موسى وَالْخَضِرُ يَسِيرَانِ إِلَى أَنْ بَلَغَا قَرْيَةً فَطَلَبَا مِنْ أَهْلِهَا إِطْعَامَهُمَا، فَامْتَنَعُوا عَنْ أَنْ يُنْزِلُوهُمَا وَيُطْعِمُوهُمَا؛ لَوْمًا مِنْهُمْ! فَوَجَدَا فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ حَائِطًا مَائِلًا يُوشِكُ أَنْ يَسْقُطَ وَيَنْهَدِمَ، فَأَصْلَحَهُ الْخَضِرُ، وَعَدَّلَ مَيْلَهُ فَاسْتَقَامَ. قَالَ موسى: لَوْ شِئْتُ لَمْ تُصْلِحْ جِدَارَ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ اللَّئَامِ، حَتَّى يَعْطُوكَ أَجْرَةً عَلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يُقِمَّهُ لَهُمْ مَجَانًّا

قال الخَضِرُ لموسى: سُؤَالُكَ لِي وَاعْتِرَاضُكَ عَلَى فِعْلِي لِلْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ سَبَبُ حُصُولِ الْفِرَاقِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَلَنْ تَصْحَبَنِي بَعْدَ الْآنِ، سَأُخْبِرُكَ قَبْلَ مُفَارَقَتِكَ بِتَفْسِيرِ أَعْمَالِي الَّتِي أَنْكَرْتَهَا عَلَيَّ، وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَصْبِرَ عَنْ سُؤَالِي عَنْهَا حَتَّى أُخْبِرَكَ بِحَقِيقَتِهَا

قال الخَضِرُ لموسى: أَمَّا السَّفِينَةُ الَّتِي خَرَقْتُهَا فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَطْلُبُونَ فِيهَا الرِّزْقَ فِي الْبَحْرِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُخْرِقَ السَّفِينَةَ، فَأَجْعَلَهَا مَعِيبَةً، وَكَانَ أَمَامَ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ مَلِكٌ ظَالِمٌ يَسْتَوْلِي عَلَى كُلِّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ قَهْرًا

وَأَمَّا الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلْتُهُ، فَكَانَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ مُؤْمِنَيْنِ بِاللَّهِ، وَكَانَ
الْغُلَامُ كَافِرًا، فَخَشِينَا إِنَّ بَقْيَ الْغُلَامِ حَيًّا أَنْ يَغْشَى أَبَوَيْهِ بِالْعُقُوقِ،
وَيَحْمِلُهُمَا عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ

قَالَ الْخَضِرُ: فَأَرَدْنَا بِقَتْلِ الْغُلَامِ الْكَافِرِ أَنْ يُبَدِّلَ اللَّهُ أَبَوَيْهِ
الْمُؤْمِنَيْنِ وَلَدًا صَالِحًا خَيْرًا مِنَ الْأَوَّلِ: دِينًا، وَصَلَاحًا، وَطَهَارَةً
مِنَ الذُّنُوبِ، وَأَرْحَمَ بَوَالِدَيْهِ، وَأَبْرَّ بِهِمَا مِنْهُ

وَأَمَّا الْحَائِطُ الَّذِي أَقْمَتُهُ فَكَانَ لْغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ الَّتِي
أَبَى أَهْلُهَا أَنْ يُضَيِّفُونَا، فَحَالَهُمَا تَقْتَضِي رَحْمَتَهُمَا وَالرَّأْفَةَ بِهِمَا،
وَكَانَ تَحْتَ الْجِدَارِ مَالٌ عَظِيمٌ مَدْفُونٌ لِلْيَتِيمَيْنِ، فَلَوْ وَقَعَ الْجِدَارُ
لَكَانَ أَقْرَبَ إِلَى ضِيَاعِ مَالِهِمَا، وَكَانَ وَالِدُ الْيَتِيمَيْنِ صَالِحًا،
فَيَنْبَغِي مُرَاعَاتُهُ، وَالْعَنَاءُ بِذُرِّيَّتِهِ، فَأَرَادَ رَبُّكَ -يَا مُوسَى- أَنْ
يَكْبُرَ الْيَتِيمَانِ حَتَّى يَصِلَا إِلَى سِنِّ الرُّشْدِ، وَتَمَامِ الْقُوَّةِ،
وَيَسْتَخْرِجَا حِينئِذٍ مَالَهُمَا الْمَدْفُونُ تَحْتَ الْجِدَارِ، هَذَا الَّذِي كَانَ -
يَا مُوسَى- إِنَّمَا فَعَلْتُهُ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ، وَمَا فَعَلْتُ جَمِيعَ تِلْكَ
الْأُمُورِ الَّتِي رَأَيْتَنِي فَعَلْتُهَا عَنْ رَأْيِي، وَمِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي، وَإِنَّمَا
فَعَلْتُهَا بِأَمْرِ اللَّهِ، وَذَلِكَ الَّذِي بَيَّنَّاهُ لَكَ -يَا مُوسَى- هُوَ تَفْسِيرُ
أَفْعَالِي الَّتِي اسْتَنْكَرْتَهَا عَلَيَّ، وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَصْبِرَ عَنْ سُؤَالِي
عنها

وَيَسْأَلُكَ الْكُفَّارُ -يَا مُحَمَّدُ- عَنْ شَأْنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَخَبَرِهِ، فَقُلْ
لِمَنْ سَأَلَكَ عَنْهُ: سَأَفْصِلُ عَلَيْكُمْ بَعْضَ أَخْبَارِهِ مِمَّا يَكُونُ فِيهَا
ذِكْرٌ وَعِبْرَةٌ وَعِظَةٌ

إِنَّا وَطَنَانَا وَمَهْدُنَا لَذِي الْقَرْنَيْنِ الْمُلْكِ فِي الْأَرْضِ، فَأَقْدَرَنَا
عَلَى ذَلِكَ، وَقَوَّيْنَاهُ بِكَثْرَةِ الْجُنُودِ وَآلَاتِ الْحَرْبِ، وَحُسْنِ التَّدْبِيرِ،
وَبَسْطِ الْهَيْبَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ

مِنْ عِلْمٍ أَوْ قُدْرَةٍ أَوْ آلَةٍ؛ حَتَّى يَصِلَ بِهِ إِلَى مَقْصُودِهِ مِنْ فَتْحِ
الْأَقَالِيمِ، وَكَسْرِ الْأَعْدَاءِ، وَالتَّمَكُّينِ فِي الْأَرْضِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ
فَسَارَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي طَرِيقٍ آخِذًا بِالْأَسْبَابِ وَالْوَسَائِلِ الَّتِي
تُوصِلُهُ إِلَى مَقْصُودِهِ

سَارَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَقْصَى مَوْضِعٍ يُمَكِّنُ سُلُوكَهُ مِنَ
الْيَابِسَةِ مِنَ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ لِلْأَرْضِ، فَوَجَدَ الشَّمْسَ تَغْرُبُ -فِي
نَاطِرِيهِ- فِي بَحْرِ ذِي طِينٍ أَسْوَدَ مُنْتِنٍ، فَرَأَاهَا وَكَأَنَّهَا تَغْرُبُ فِي
ذَلِكَ الْبَحْرِ، وَوَجَدَ عِنْدَ تِلْكَ الْعَيْنِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ أُمَّةً مِنَ
الْأُمَمِ، فَقَالُوا: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ، إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ مَنْ أَصْرَ مِنْهُمْ عَلَى
الْكُفْرِ، وَإِمَّا أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِمْ

قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ: أَمَّا مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِالْإِصْرَارِ عَلَى الْكُفْرِ بَعْدَ
دَعْوَتِهِ لِلْحَقِّ، فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ الْكَافِرُ بَعْدَ تَعْذِيبِنَا لَهُ فِي
الدُّنْيَا إِلَى رَبِّهِ، فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا فَظِيعًا شَدِيدًا

وَأَمَّا مَنْ آمَنَ بَعْدَ كُفْرِهِ، وَعَمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ مُخْلِصًا لَهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ؛ فَلَهُ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ ثَوَابًا عَلَى إِيْمَانِهِ وَعَمَلِهِ
الصَّالِحِ، وَسَنُلْطِفُ لَهُ الْقَوْلَ وَنُلِينُهُ فِي الدُّنْيَا، وَنُعَلِّمُهُ مَا تيسَّرَ
تَعْلِيمُهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَنُعَامِلُهُ بِالْيُسْرِ، وَنُحْسِنُ إِلَيْهِ

ثُمَّ سَارَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي طَرِيقٍ آخَرَ آخِذًا بِالْأَسْبَابِ وَالْوَسَائِلِ؛
كَي يَصِلَ إِلَى جِهَةِ الْمَشْرِقِ

سَارَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَقْصَى مَوْضِعٍ يُمَكِّنُ سُلُوكَهُ مِنَ
الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ لِلْأَرْضِ، حَيْثُ تَطْلُعُ الشَّمْسُ، فَوَجَدَ الشَّمْسَ
تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ يُظِلُّهُمْ مِنْهَا؛ مِنْ جَبَلٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ
بِنَاءٍ

كذلك أمرُ ذي القرنين، هو كما وصَفناه لكم، وقد عَلَّمنا ما
لدى ذي القرنين مِنَ الجُنْدِ والأموالِ، والآلاتِ وأسبابِ المُلْكِ
والقُوَّةِ، فلم يَخَفَ علينا شيءٌ مِنْ ذلك
ثمَّ سار ذو القرنين في طريقٍ ثالثٍ آخِذاً بالأسبابِ والوسائلِ؛
لِيَبْلُغَ الجَهَةَ الَّتِي يُرِيدُهَا

سار ذو القرنين إلى أن بَلَغَ مَوْضِعًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، وَجَدَ مِنْ دُونِ
الْجَبَلَيْنِ قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْهَمُونَ مَا يُقَالُ لَهُمْ بغيرِ لُغَتِهِمْ
قال أولئك القومُ: يا ذا القرنين، إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَخْرُجُونَ
مِنْ بَيْنِ السِّدِّينِ، فَيُفْسِدُونَ فِي أَرْضِنَا بِالْقَتْلِ وَالنَّهْبِ وَالتَّخْرِيبِ،
وغير ذلك مِنْ وُجُوهِ الإِفْسَادِ، فهل نجعلُ لك أَجْرَةً أو جُعْلاً مِنْ
أموالنا على أن تَبْنِيَ لَنَا حَاجِزًا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فلا يُمْكِنَ لَهُمُ الوُصُولُ
إِلَيْنَا؟

قال ذو القرنين: الَّذِي بَسَطَهُ لِي رَبِّي مِنَ المُلْكِ والعِلْمِ، والقُوَّةِ
والقُدْرَةِ والأموالِ؛ خَيْرٌ مِنَ المَالِ الَّذِي تَعْرِضُونَهُ عَلَيَّ،
فأَعِينُونِي بِرِجَالٍ أَقْوِيَاءَ يُحْسِنُونَ العَمَلَ، وَبِآلاتٍ لِلبِنَاءِ؛ أَجْعَلْ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ حَاجِزًا مَنِيعًا وَقَوِيًّا
قال ذو القرنين: أعطوني قِطْعَ الحَدِيدِ الضَّخْمَةِ وَنَاوِلُونِيهَا،
فَلَمَّا جَاءُوهُ بِقِطْعِ الحَدِيدِ الكَبِيرَةِ، وَغَطَّى بِهَا ذُو الْقَرْنَيْنِ الْمَنْفَذَ
بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ حَتَّى حَادَى بِذَلِكَ البِنَاءِ رُؤُوسَهُمَا؛ قال لِلْعُمَّالِ:
انْفُخُوا النَّارَ بِالْآلَاتِ عَلَى قِطْعِ الحَدِيدِ، فَنفَخُوا حَتَّى جَعَلَ ذُو
الْقَرْنَيْنِ الحَدِيدَ نَارًا، فَقَالَ: أعطوني نُحاسًا ذَائِبًا أَصُبُّهُ عَلَى
الحَدِيدِ الْمُحْمَى

فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَاخْتَلَطَ وَالتَصَقَّ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَصَارَ حَاجِزًا
صَلْدًا مَنِيعًا، وَاسْتَحْكَمَ اسْتِحْكَامًا هَائِلًا، فلم يَقْدِرْ يَأْجُوجُ

ومأجوج على صعود ذلك الرِّدم؛ لارتفاعه وملاسته، فهو مُستَوٍ مع الجبل، والجبل عال لا يُرام، ولم يَقْدِرُوا على خرق ذلك الرِّدم من أسفله خرقاً يَنقُذُ بهم إلى الجهة الأخرى؛ وذلك لإحكام بنائه، وصلابته وشِدَّتِه

قال ذو القرنين: هذا الرِّدم الَّذي مَكَّنني اللهُ مِنْ جَعْلِهِ حَاجِزًا بَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَبَيْنَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ؛ رَحْمَةً مِنْ رَبِّي بِالنَّاسِ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي الَّذِي وَقَّتَهُ لَخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الرِّدْمِ، جَعَلَ اللهُ هَذَا الرِّدْمَ مُنْهَدِمًا مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ، وَكَانَ وَعْدُ اللهِ عِبَادَهُ بِخُرُوجِهِمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ كَائِنًا لَا مُحَالَةً، وَكُلُّ مَا وَعَدَ اللهُ بِهِ فَلَا بَدَّ أَنْ يَقَعَ

وَتَرَكْنَا يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَوْمَ يَأْتِي وَعْدُ اللهِ بِذَلِكَ الرِّدْمِ، يَخْرُجُونَ مُزْدَحِمِينَ مُخْتَلِطِينَ بِالنَّاسِ، وَيَنْتَشِرُونَ بَيْنَهُمْ لِلْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَتُفْخِ فِي الْبُوقِ؛ لَتَعُودَ الْأَرْوَاحُ إِلَى أَجْسَادِهَا، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَجَمَعْنَا جَمِيعَ الْخَلْقِ إِلَى مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ؛ لِحِسَابِهِمْ وَمُجَازَاتِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ

وَأَبْرَزْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَظْهَرْنَاهَا لِلْكَافِرِينَ؛ حَتَّى يُشَاهِدُوهَا عِيَانًا قَبْلَ دُخُولِهَا

أَظْهَرْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ مُغْطَاةً عَنِ النَّظَرِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ وَتَذَكُّرِهَا، وَتَعَامَوْا عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ، وَكَانَ الْكَافِرُونَ لَا يُطِيقُونَ سَمَاعَ كَلَامِ اللهِ

أَفْظَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي الَّذِينَ عَبَدُوهُمْ مِنْ دُونِي -كَالْمَسِيحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ- وَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّالِحِينَ -أَوْلِيَاءَ لَهُمْ؟ إِنَّا هِيَئَانَا جَهَنَّمَ مَنْزِلًا لِلْكَافِرِينَ

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ-: هل تُخْبِرُكُمْ بأَخْسَرِ النَّاسِ أَعْمَالًا وَأَضْيَعِيهَا،
فلا يَنْتَفِعُونَ بها؟

هم الَّذِينَ بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا وَاضْمَحَلَّتْ؛
لِفَسَادِ اعْتِقَادِهِمْ، وَمَخَالَفَتِهِمْ شَرِيعَةَ رَبِّهِمْ، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ يَطْنُونُ
أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَسَيَنْتَفِعُونَ بِأَثَارِهَا، وَلَا يَدْرُونَ أَنَّهَا
بَاطِلَةٌ

أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِحُجَجِ رَبِّهِمْ وَأَدِلَّتِهِ، وَكَذَّبُوا بِالْبَعْثِ
بَعْدَ الْمَوْتِ، فَأَبْطَلَ اللَّهُ أَعْمَالَ الْخَيْرِ الَّتِي عَمِلُوهَا، فَلَا يُثَابُونَ
عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ؛ لَعَدَمِ بِنَائِهَا عَلَى أُسَاسٍ مِنَ الْإِيمَانِ، فَلَا تُنْقَلُ
مَوَازِينُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ حَسَنَاتٌ
إِنَّمَا جَارَيْنَا أُولَئِكَ الْكَافِرِينَ بِجَهَنَّمَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ،
وَاسْتِهْزَائِهِمْ وَاسْتِخْفَافِهِمْ بِالْحُجَجِ وَالْدَّلَائِلِ وَرُسُلِ اللَّهِ،
وَسُخْرِيَّتِهِمْ مِنْهُمْ

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ
الصَّالِحَاتِ الْخَالِصَةَ لِلَّهِ، الْمَوَافِقَةَ لَشَرِيعَتِهِ؛ كَانَتْ لَهُمْ جَنَاتُ
الْفِرْدَوْسِ مَنَازِلَ يَسْكُنُونَهَا

لَا يَبْثِنُ فِي جَنَاتِ الْفِرْدَوْسِ أَبَدًا، لَا يَطْلُبُونَ عَنْهَا تَحَوُّلًا إِلَى
غَيْرِهَا، وَلَا يَخْتَارُونَ سِوَاهَا

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ-: لو كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِلْأَقْلَامِ الَّتِي تُكْتَبُ بِهَا
كَلِمَاتُ رَبِّي، لَفَرَغَ مَاءُ الْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ يُفْرَغَ مِنْ كِتَابَةِ كَلِمَاتِ
رَبِّي؛ لَعَدَمِ تَنَاهِي مَعْلُومَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، وَلَوْ زِدْنَا الْبَحْرَ
بِمِثْلِ مَا فِيهِ مِنَ الْمَاءِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، لَنَفِدَ مَاءُ الْبَحْرِ وَمَا زِيدَ
فِيهِ مِنْ بَحَارٍ، وَلَمْ تَنْفَدْ كَلِمَاتُ اللَّهِ

قُلْ -يا مُحَمَّدُ- لِلْمُشْرِكِينَ الْمَكْذِبِينَ بِرِسَالَتِكَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ
مِثْلُكُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ، لَا عِلْمَ لِي بِالْغَيْبِ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي رَبِّي، وَقَدْ
أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّ أُبَلِّغَكُمْ أَنَّ مَعْبُودَكُمْ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَاحِدٌ لَا
شَرِيكَ لَهُ، فَمَنْ كَانَ يَرْجُو رُؤْيَا اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، وَثَوَابَهُ، وَيَخْشَى
عِقَابَهُ؛ فَلْيَعْمَلْ فِي الدُّنْيَا عَمَلًا صَالِحًا خَالِصًا لِلَّهِ، مُوَافِقًا لِشَرْعِهِ،
لَا يَعْْبُدُ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، وَلَا يُرَاءِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ، بَلْ
يَجْعَلْ عِبَادَتَهُ خَالِصَةً لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

ثَبِّينُ هَذِهِ الْحُرُوفَ الْمَقْطُوعَةَ، إِعْجَازَ الْقُرْآنِ؛ حَيْثُ تُظْهَرُ
عَجْزُ الْخَلْقِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ، مَعَ أَنَّهُ مَرْكَبٌ مِنْ هَذِهِ
الْحُرُوفِ الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ بِهَا!

هَذَا الَّذِي نَتْلُوهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، قِصَّةَ رَحْمَةِ رَبِّكَ -يا مُحَمَّدُ-
عَبْدَهُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

حِينَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ، وَسَأَلَهُ بِإِذْنِ خَفِيِّ عَنِ النَّاسِ.
قَالَ زَكَرِيَّا: يَا رَبِّ، قَدْ رَقَّ عَظْمِي، وَضَعُفَتْ قُوَّتِي، وَانْتَشَرَ
الشَّيْبُ فِي رَأْسِي، وَقَدْ عَوَّدْتَنِي إِجَابَةَ دَعْوَتِي.

خَفْتُ أَنْ يُضَيِّعَ أَقَارِبِي الدِّينَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِي، وَامْرَأَتِي عَقِيمٌ
لَا تَلِدُ، فَارْزُقْنِي وَلَدًا يَقُومُ بِالْدِّينِ مِنْ بَعْدِي.

يَرِثْ عِلْمِي وَنَبُوءَتِي، وَيَرِثْ ذَلِكَ مِنْ أَجْدَادِهِ آلِ يَعْقُوبَ،
وَاجْعَلْهُ -يا رَبِّ- مَرْضِيًّا عِنْدَكَ وَعِنْدَ عِبَادِكَ

نُودِي: يَا زَكَرِيَّا، إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِإِجَابَةِ دُعَايِكَ، فَسُئِلَ غُلَامًا
اسْمُهُ يَحْيَى، لَمْ نُسَمِّ أَحَدًا قَبْلَهُ بِهَذَا الْاسْمِ.

قَالَ زَكَرِيَّا مُتَعَجِّبًا: يَا رَبِّ، كَيْفَ يُوَلِّدُ لِي غُلَامًا، وَزَوْجَتِي
عَقِيمٌ لَا تَحْمِلُ، وَقَدْ بَلَغْتُ غَايَةَ فِي كِبَرِ السِّنِّ؟

قال الملك لزكريّا: هكذا الأمر كما ذكرت، ولكن قال ربك: هذا الأمر سهل عليّ، وقد أوجدتُك من قبل يحيى، ولم تكن موجوداً؛ فذلك أنا قادرٌ على إيجاد ولدٍ لك، فلا تعجب؛ فكلاهما إيجادٌ بعدَ عَدَمٍ.

قال زكريّا: يا ربّ، اجعلْ لي علامةً أُستدلُّ بها على حمل زوجتي؛ ليطمئنَّ قلبي، قال: علامتك ألاّ تقدِر على الكلام مع النَّاسِ لثلاثِ لَيالٍ، وأنت صحيحٌ ليس بك مَرَضٌ يَمْنَعُكَ مِنَ الكلامِ!

فخرج زكريّا على بني إسرائيل من مُصَلَّاه الذي بُشِّرَ فيه، فأشار إليهم أن سَبِّحُوا في أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ
فولد لزكريّا يحيى، وقال الله له: يا يحيى، خُذِ التَّورَةَ بِحِدٍّ وَعَزْمٍ، وَأَعْطَيْنَاهُ الْفَهْمَ لَهَا، وَالْعِلْمَ بِأَحْكَامِهَا، وَالْعَمَلَ بِهَا، وَالْحُكْمَ بِهَا فِي صِغَرِهِ وَقَبْلَ بُلُوغِهِ.
وآتينا يحيى حناناً خاصّاً من عِنْدِنَا، وطهارةً من الذُّنُوبِ، وَنَقَاءً مِنَ الْخَبَائِثِ، وَكَانَ مُمْتَنِّلاً لِأَمْرِ رَبِّهِ، مُجْتَنِباً لِنَوَاهِيهِ.
وَكَانَ مُسَارِعاً فِي الْبِرِّ بِوَالِدَيْهِ، قَوَّلاً وَفِعْلاً، وَلَمْ يَكُنْ مُتَكَبِّراً
عَنِ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَلَا مُتَرْفِعاً عَلَى أَبَوَيْهِ وَغَيْرِهِمَا، وَلَا مُسْتَخِفّاً بِحَقُوقِ الْعِبَادِ.

سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ لِيَحْيَى يَوْمَ وُلِدَ، وَأَمَانٌ لَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمِنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُ، وَسَلَامٌ لَهُ يَوْمَ يَمُوتُ، وَأَمَانٌ لَهُ مِنْ كُرْبِ الْمَوْتِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَتِهِ، وَسَلَامٌ لَهُ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا، فَيَأْمَنُ مِنَ الْأَهْوَالِ وَعَذَابِ النَّارِ.

وَاتُّل -يا مُحَمَّدٌ- فِي الْقُرْآنِ خَبَرُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، حِينَ تَنَحَّتْ عَنْ أَهْلِهَا فِي مَوْضِعٍ جِهَةِ الْمَشْرِقِ.

فَجَعَلَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَهْلِهَا حَاجِزًا يَسْتُرُهَا عَنْهُمْ؛ لَتَنْتَفِرَّ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا جَبْرِيلَ فَجَاءَهَا عَلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ مُعْتَدِلِ الْخَلْقَةِ، جَمِيلِ الصُّورَةِ.

قَالَتْ مَرِيَمُ: إِنِّي أَعْتَصِمُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ أَنْ تَنَالَنِي بِسُوءٍ، فَإِنْ كُنْتُ ذَا تَقْوَى تَجْتَنِبُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَلَا تُقَدِّمُ عَلَى الْفُجُورِ، فَسَتَنْتَهِي بِتَعَوُّذِي مِنْكَ.

قَالَ جَبْرِيلُ لِمَرِيَمَ: لَسْتُ كَمَا تَظُنِّينَ، فَلَا تَخَافِي، إِنَّمَا أَنَا مَلَكٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْكَ؛ لِأَكُونَ سَبَبًا فِي هَبَةِ غُلَامٍ لَكَ طَاهِرٍ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ.

قَالَتْ مَرِيَمُ: كَيْفَ يَكُونُ لِي غُلَامٌ أَلَدُهُ، وَلَمْ يَقْرَبْنِي أَحَدٌ بِنِكَاحٍ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ دَأْبِي الْفُجُورِ؟!

قَالَ جَبْرِيلُ لِمَرِيَمَ: هَكَذَا الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتُ، وَلَكِنْ قَالَ رَبُّكَ: خَلَقَ الْغُلَامَ مِنْكَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ سَهْلٌ عَلَيَّ! وَنَرِيدُ أَنْ نَجْعَلَ ذَلِكَ عِلَامَةً لِلنَّاسِ عَلَى الْحَقِّ، وَرَحْمَةً مِنَّا، وَهُوَ أَمْرٌ قَضَاهُ اللَّهُ؛ فَهُوَ وَاقِعٌ لَا مُحَالَةَ.

فَحَمَلَتْ مَرِيَمُ بَعِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَتَنَحَّتْ بِحَمْلِهَا إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنِ النَّاسِ.

فَأَلْجَأَهَا أَلَمُ الطَّلُقِ إِلَى جِذَعِ نَخْلَةٍ، وَقَالَتْ: يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ أَنْ أَحْمِلَ هَذَا الْغُلَامَ مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ، وَلَيْتَنِي كُنْتُ شَيْئًا حَقِيرًا يُتْرَكُ وَيُنْسَى فَلَا يَخْطُرُ عَلَى بَالٍ!

فَنَادَاهَا عِيسَى مِنْ تَحْتِهَا عِنْدَمَا وَضَعَتْهُ فَقَالَ: لَا تَحْزَنِي، قَدْ أَجْرَى رَبُّكَ تَحْتَ قَدَمَيْكَ نَهْرًا صَغِيرًا؛ لِنَشْرِبِي مِنْهُ. وَحَرَكَ يَ جِذَعِ النَّخْلَةِ، تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا طَرِيًّا طَيِّبًا نَافِعًا.

فكُلِّي مِنَ الرُّطْبِ، واشْرَبِي مِنَ النَّهْرِ، وَطَيِّبِي نَفْسًا،
وافْرَحِي، فَإِنْ رَأَيْتِ أَحَدًا يُرِيدُ أَنْ يُكَلِّمَكَ فَقُولِي: إِنِّي أَوْجِبْتُ
عَلَى نَفْسِي لِلرَّحْمَنِ الْإِمْسَاكَ عَنِ الْكَلَامِ، فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَحَدًا مِنَ
النَّاسِ.

فجاءت إلى قَوْمِهَا وهي تَحْمِلُ عِيسَى، فَلَمَّا رَأَوْهَا، قالوا: يا
مريمُ، لقد فَعَلْتَ مُنْكَرًا عَظِيمًا!

يا أُخْتَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ هَارُونَ، لم يَكُنْ أَبُوكَ رَجُلًا يَقَارِفُ
الْفَاحِشَةَ! ولم تَكُنْ أُمُّكَ زَانِيَةً فَتَتَأَسَّى بِهَا، فكيف قَارَفْتَ ذَلِكَ
وَأَنْتِ مِنَ أَوْلَئِكَ الصَّالِحِينَ؟!

فلم تُكَلِّمْ مَريمُ قَوْمَهَا، وَأشارت إلى عِيسَى أَنْ كَلِّمُوهُ؛
لِيُجِيبَهُمْ، فقالوا مُنْكَرِينَ: كيف نَكَلِّمُ رَضِيعًا لَا يَزَالُ فِي فِرَاشِهِ،
وليس في اسْتَطَاعَتِهِ الْكَلَامُ؟!

فنَطَقَ عِيسَى وهو طِفْلٌ في المَهْدِ، قال: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ؛ فهو مَنْ
يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ، قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ سَيُؤْتِينِي الْإِنْجِيلَ، وَيَجْعَلُنِي
نَبِيًّا.

وجَعَلَنِي ذَا بَرَكَاتٍ، كَثِيرَ الْخَيْرَاتِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ أَكُونَ نَافِعًا
لِلْخَلْقِ، مُعَلِّمًا لِلْخَيْرِ فِي أَيِّ مَكَانٍ أَكُونُ فِيهِ، وَأَوْصَانِي اللَّهُ
بِالْمَحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فِي حَيَاتِي.

وجَعَلَنِي اللَّهُ بَارًّا بِوَالِدَتِي، مُحَسِّنًا إِلَيْهَا، ولم يَجْعَلْنِي اللَّهُ
مُسْتَكْبِرًا عَنْ عِبَادَتِهِ وَبِرِّ أُمِّي، وَلَا غَلِيظًا فِي مُعَامَلَةِ النَّاسِ
مُتَرَفِّعًا عَلَيْهِمْ.

وَالسَّلَامُ مِنَ اللَّهِ عَلَيَّ، وَالْأَمَانُ لِي يَوْمَ وُلِدْتُ، وَمِنْ ذَلِكَ طَعَنُ
الشَّيْطَانِ عِنْدَ الْوِلَادَةِ، وَسَلَامٌ يَوْمَ أَمُوتُ وَأَمَانٌ لِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ؛
كَكُرْبِ الْمَوْتِ، وَسُوءِ الْخَاتِمَةِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَتِهِ، وَسَلَامٌ

وأمانٌ لي يومَ القيامةِ حينَ يبعثُنِي حيًّا فَيُؤمِّنُنِي مِنَ الأهوالِ،
وعذابِ النَّارِ.

ذلك العَظِيمُ القَدرِ، الَّذِي أَخْبَرْتُكُمْ بِشَأْنِهِ هُوَ عيسى ابنُ مَريمَ،
فهذه صِفَتُهُ حَقًّا، وتلك حَقِيقَةُ نَشَأَتِهِ، وهو الأمرُ الَّذِي يَخْتَلِفُ
النَّاسُ فِيهِ وَيَشْكُونُ.

ما يَنبَغِي لِلَّهِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ وَلَدًا، تَنَزَّهَ عَن ذَلِكَ وَعَن كُلِّ نَقْصٍ،
إِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِحْدَاثَ شَيْءٍ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ، فَيُوجَدُ كَمَا يَشَاءُ بِلَا
مَشَقَّةٍ.

قال عيسى لِقَوْمِهِ وهو في مَهْدِهِ: وَلَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، هَذَا الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ طَرِيقٌ لَا اعْوَجَاجَ فِيهِ، فَمَنْ
سَلَكَ اهْتَدَى.

فاختَلَفَ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى فِي أَمْرِ عيسى؛ فزَعَمَ اليَهُودُ أَنَّهُ
ابْنُ زَنًا، وزَعَمَ النَّصَارَى أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ، أو أَنَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، أو أَنَّهُ
اللَّهُ -تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ غُلُوًّا كَبِيرًا- وَقَالَ آخَرُونَ الْحَقَّ فِي
شَأْنِهِ: أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ اعْتَقَدُوا فِي عيسى
الباطِلَ، وَلِغَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ، مِنْ حُضُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ما أَسْمَعَ الْكَافِرِينَ، وما أَبْصَرَ لَهُمُ الْحَقَّ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ! لَكِنْ
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ، فِي الدُّنْيَا، فِي ضَلَالٍ
وَاضِحٍ عَنِ الْحَقِّ.

وَحَوْفِ النَّاسِ -يَا مُحَمَّدُ- بِالْيَوْمِ الَّذِي يَنْدَمُ الظَّالِمُونَ فِيهِ عَلَى
تَفْرِيطِهِمْ فِي الْحَقِّ، وَعَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ النَّوَابِ، وَمَا يُصِيبُهُمْ مِنَ
العَذَابِ، حِينَ يُفْرَغُ مِنَ الْحَسَابِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَالْحَالُ أَنَّ الْكَافِرِينَ
فِي الدُّنْيَا فِي غَفْلَةٍ عَمَّا أَنْذَرُوا بِهِ، وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ.

قال الله تعالى: إِنِّي أَرِثُ وَحْدِي الْأَرْضَ وَكُلَّ مَا عَلَيْهَا بَعْدَ مَوْتِ الْخَلَائِقِ، وَإِلَيَّ يُرَدُّ الْعِبَادُ فَيُبْعَثُونَ.

واثُلُ -يا مُحَمَّدٌ- في القرآنِ خَبَرَ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الصِّدْقِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَمَوَاعِيدِهِ، بَلِيغَ التَّصْدِيقِ بِمَا هُوَ أَهْلٌ لِأَنْ يُصَدَّقَ بِهِ، وَكَانَ نَبِيًّا رَفِيعَ الْقَدْرِ.

حِينَ قَالَ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ، لِمَاذَا تَعْبُدُ أَصْنَامًا لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ؟! وَلَا تَدْفَعُ عَنْكَ ضَرَرًا، وَلَا تَنْفَعُكَ بِشَيْءٍ؟

يَا أَبَتِ، إِنِّي أُعْطِيتُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ تُعْطَهُ، فَاقْبَلْ نَصِيحَتِي؛ أُرْشِدُكَ طَرِيقًا مُسْتَقِيمًا، مُوَصِّلًا إِلَى الْحَقِّ.

يَا أَبَتِ، لَا تُطِيعِ الشَّيْطَانَ فِيمَا يُزَيِّنُ لَكَ مِنَ الشِّرْكِ، فَتَكُونَ عَابِدًا لَهُ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ عَاصٍ لِلرَّحْمَنِ، مُسْتَكْبِرٌ عَنْ طَاعَتِهِ.

يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ -إِنْ بَقِيَتْ عَلَى الشِّرْكِ- أَنْ يُصِيبَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَتَكُونَ مِنَ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ.

قال أبوه: أَتُعْرِضُ -يَا إِبْرَاهِيمُ- عَنْ عِبَادَةِ آلِهَتِي؟! لَنْ لَمْ تُتْرَكْ نُصْحِي، وَذَكَرَ آلِهَتِي بِسُوءٍ لَأَرْجُمَنَّكَ، وَابْتَعدْ عَنِّي زَمَنًا طَوِيلًا.

قال إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ: أَنْتَ فِي سَلَامَةٍ، فَلَا يَنَالُكَ مِنِّي سُوءٌ، سَأُطْلُبُ لَكَ مِنْ رَبِّي مَغْفِرَةَ ذُنُوبِكَ، إِنِّي عَهْدُهُ لَطِيفًا، مُعْتَنِيًّا بِي، وَقَدْ عَوَّدَنِي إِجَابَةَ دُعَائِي.

وَأَجْنَبَيْكُمْ وَالْهَتَمَ الَّتِي تَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَادْعُوهُ مُخْلِصًا لَهُ وَحْدَهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَسْتَجِيبَ دُعَائِي.

فَلَمَّا اجْتَنَبَ إِبْرَاهِيمُ قَوْمَهُ، وَعِبَادَةَ أَصْنَامِهِمْ وَهَاجَرَ؛ رَزَقْنَاهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَكُلًّا مِنْهُمَا جَعَلْنَاهُ نَبِيًّا.

وَأَعْطَيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، مِنْ رَحْمَتِنَا شَيْئًا عَظِيمًا، وَجَعَلْنَا لَهُمْ ثَنَاءً حَسَنًا، عَلِيًّا صَادِقًا، مُسْتَمِرًّا بَيْنَ النَّاسِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَأَتْلُ -يَا مُحَمَّدُ- فِي الْقُرْآنِ خَيْرَ مُوسَى، وَقَدْ اخْتَارَهُ اللَّهُ لِرِسَالَتِهِ وَتَكْلِيمِهِ، وَجَعَلَهُ خَالصًا مِنَ الدَّنَسِ، وَكَانَ رَسُولًا، وَنَبِيًّا رَفِيعَ الْقَدْرِ.

وَكَلَّمْنَا مُوسَى مِنْ نَاحِيَةِ جَبَلِ الطُّورِ الْوَاقِعِ عَلَى يَمِينِ مُوسَى، حِينَ أَقْبَلَ مِنْ مَدْيَنَ، وَقَرَّبْنَاهُ فَسَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ، وَخَاطَبَهُ، بِلَا وَاسِطَةٍ.

وَمِنْ رَحْمَتِنَا بِمُوسَى، أَنْ جَعَلْنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا؛ لِيُعِينَهُ. وَأَتْلُ -يَا مُحَمَّدُ- فِي الْقُرْآنِ خَيْرَ إِسْمَاعِيلَ، إِنَّهُ كَانَ وَفِيًّا بِوُعُودِهِ لِرَبِّهِ وَلِلنَّاسِ، وَكَانَ رَسُولًا، وَنَبِيًّا رَفِيعَ الْقَدْرِ. وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَكَانَ مَحْمُودًا عِنْدَ اللَّهِ فِي أَعْمَالِهِ، ارْتِضَاهُ اللَّهُ؛ لِاجْتِهَادِهِ فِيمَا يُرْضِيهِ، فَرَضِيَ رَبُّهُ عَنْهُ، وَرَضِيَ هُوَ عَنْ رَبِّهِ.

وَأَتْلُ -يَا مُحَمَّدُ- فِي الْقُرْآنِ خَيْرَ إِدْرِيسَ، إِنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الصِّدْقِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، صَادِقًا فِيمَا يَخْبُرُ بِهِ عَنِ اللَّهِ، وَمُصَدِّقًا بِمَا آتَاهُ مِنَ الْحَقِّ، وَنَبِيًّا رَفِيعَ الْقَدْرِ. وَرَفَعْنَا إِدْرِيسَ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ.

أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ الْمَذْكُورُونَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْهُدَايَةِ وَالنُّبُوَّةِ، وَالْعِلْمِ، وَالْعَمَلِ بِهِ؛ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ، وَهُوَ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِنْ ذُرِّيَةِ مَنْ حُمِلَ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ، وَهُوَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَهُمْ: إِسْمَاعِيلُ، وَإِسْحَاقُ، وَيَعْقُوبُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَمِنْ ذُرِّيَةِ يَعْقُوبَ،

وهم موسى، وهارون، وزكريّا، ويحيى، وعيسى ابن مريم عليهم السّلام، وممن هدى الله، واجتباهم، إذا تُتلى عليهم آيات الرّحمن؛ بادّروا إلى السّجود له باكين.

فجاء من بعد النّبیین عقب سوء أضاعوا الصّلاة؛ إمّا بتركها بالكليّة، أو بترك بعض أركانها وشروطها، وغير ذلك، وأقبلوا على شهواتهم، فسوف يلقون عذاباً شديداً يوم القيامة.

إلا الذين تابوا عن إضاعة الصّلوات، واتباع الشهوات، وآمنوا بالحق، وعملوا ما شرع لهم بإخلاص لله؛ فأولئك يدخلون الجنّة، دون أن تنقص حسناتهم.

يدخل أولئك النّائبون الجنات فيقيمون فيها أبداً، وقد وعد الرّحمن المؤمنين أن يدخلوها، فأمنوا بذلك، وهي غائبة عنهم، وسينالون ما وعدوا به حقاً.

لا يسمّع أهل الجنّة فيها فحشاً وكلاماً لا ينفعهم، ولكن يسمعون القول السّالم من ذلك، مثل تحية الله وملائكته لهم، ولأهل الجنّة رزقهم في الجنّة من الطّعام والشراب وما يشتهون في كلّ يوم في قدر وقت البكرة ووقت العشيّ في أيّام الدنيا.

هذه الجنّة العالية القدر تُعطىها من كان متّقياً لعذاب الله وسخطه، بامتنال أو امره، واجتناب نواهيه.

قُل -يا جبريل- لمحمّد: نحن -الملائكة- لا ننزل من السّماء إلّا بأمر ربّك لنا بالنّزول، فلا تستبطئ نزلنا، والله وحده جميع الجهات والأماكن، وجميع الأزمان: الحاضرة والماضية والمستقبلّة، فلا نقدر على الانتقال من مكان إلى آخر، أو في زمان دون زمان إلّا بأمر الله، ولم يكن ربّك ذا نسيان لشيء،

فَإِنْ تَأَخَّرَ نُزُولُنَا إِلَيْكَ فَلَيْسَ عَنْ نِسْيَانٍ مِنْهُ، وَإِنَّمَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ ذَلِكَ.

هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، فَلَوْ كَانَ نَسِيًّا لَمْ يَسْتَقِمِ الْوُجُودُ، وَهَلَكَتِ الْمَخْلُوقَاتُ، فَاعْبُدْهُ وَحْدَهُ، وَاصْبِرْ صَبْرًا عَظِيمًا بِغَايَةِ جُهْدِكَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا مَثِيلَ لَهُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ.

وَيَقُولُ الْكَافِرُ مُنْكَرًا لِلْبَعْثِ: هَلْ سَأَخْرَجُ بَعْدَ مَوْتِي حَيًّا مِنْ قَبْرِي؟!

أَوْ لَا يَتَنَبَّهُ هَذَا الْكَافِرُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا؟!

فَالْقَائِرُ عَلَى إِيجَادِهِ مِنَ الْعَدَمِ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَائِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ. فَأَقْسِمُ بِرَبِّكَ -يَا مُحَمَّدُ- لَنَجْمَعَ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ شَيَاطِينِهِمُ الَّذِينَ أَضَلُّوهُمْ، ثُمَّ لَنَحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ آذِلَاءً، بَارِكِينَ عَلَى رُكْبِهِمْ؛ لِشِدَّةِ الْأَهْوَالِ.

ثُمَّ لَنَأْخُذَنَّ بِشِدَّةٍ مِنْ كُلِّ جَمَاعَةٍ مِنْ فِرْقِ الْكُفْرِ أَشَدَّهُمْ تَمَرُّدًا عَلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ، فَنبداً بِإِدْخَالِهِمُ النَّارَ.

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ هُمْ أَحَقُّ بِشِدَّةِ الْعَذَابِ فِي النَّارِ. وَمَا مِنْكُمْ أَحَدٌ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَّا سِيرَدُ النَّارِ، وَهُوَ أَمْرٌ قَضَى اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِهِ.

ثُمَّ نُخَلِّصُ الْمُتَّقِينَ مِنَ النَّارِ، وَنَتْرُكُ فِيهَا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم بِالْكَفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي بُرُوكًا عَلَى رُكْبِهِمْ.

وَإِذَا تُتْلَى عَلَى النَّاسِ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْوَاضِحَاتُ، قَالَ الْكَافِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ مُحْتَجِّينَ عَلَى بُطْلَانِهَا: أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَفْضَلُ مَسْكَنًا وَمَتَاعًا، وَأَحْسَنُ مَجْلِسًا، وَكَأَكْثَرُ غَشِيَانًا؟ نَحْنُ، أَمْ أَنْتُمْ؟! فَكَيْفَ

تَكُونُ عَلَى الْبَاطِلِ وَأَنْتُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَنَحْنُ أَفْضَلُ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ؟!

وَأَهْلَكْنَا قَبْلَ كَفَّارِ فُرَيْشَ كَثِيرًا مِنْ كَفَّارِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَكَانُوا أَحْسَنَ مِنْهُمْ فِي أَمْتَعَةٍ مَسَاكِينِهِمْ، وَأَجْمَلَ فِي مَنَظَرِهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ لَكُفْرِهِمْ؛ فَلْيَخَفْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ نِقْمَةَ اللَّهِ بِالْإِهْلَاكِ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: مَنْ كَانَ مُنْعَمِسًا فِي الضَّلَالِ مِنَّا وَمِنْكُمْ، فَلْيُتِمِّهِلْهُ اللَّهُ فِي ضَلَالِهِ، وَيَزِدْهُ مِنَ النَّعَمِ وَالْعُمُرِ -لِيَزِدَادَ ضَلَالًا، فَتَشْتَدُّ عَقُوبَتُهُ- إِلَى أَنْ يَرَى الضَّالُّونَ مَا وَعَدَ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِهِ: إِمَّا بِالْعَذَابِ الْعَاجِلِ، وَإِمَّا بِقِيَامِ السَّاعَةِ، فَيَصِيرُونَ إِلَى النَّارِ، فَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ مَنْ هُوَ شَرُّ مَسْكَنًا، وَأَضْعَفُ نَاصِرًا.

وَيَزِيدُ اللَّهُ الْمَهْتَدِينَ هُدًى، وَثَبَاتًا، وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ أَفْضَلُ جَزَاءً عِنْدَ اللَّهِ، وَخَيْرٌ عَاقِبَةً فِي الْآخِرَةِ، مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا. انْظُرْ مُتَعَجِّبًا -يَا مُحَمَّدُ- إِلَى مَنْ كَفَرَ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ، وَقَالَ: أَقْسَمُ لِيُعْطِيَنِي اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى فَرَضِ قِيَامِهَا، مَا لَّا وَأَوْلَادًا. هَلْ عَلِمَ هَذَا الْكَافِرُ الْغَيْبَ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مَا لَّا وَوَلَدًا؟ أَمْ لَهُ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ بِأَنَّهُ سَيُعْطِيهِ ذَلِكَ؟!

لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالَ؛ فَهُوَ مَخْطِئٌ فِيمَا يَتَمَنَّاهُ، سَتَكُتُبُ الْمَلَائِكَةُ الْحَقْظَةَ مَا يَقُولُ، وَنُجَازِيهِ فِي الْآخِرَةِ عَلَى كُفْرِهِ، وَنَزِيدُهُ عَذَابًا؛ لِكَذِبِهِ عَلَى رَبِّهِ.

وَنَسْلُبُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ فِي الدُّنْيَا بِمَوْتِهِ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ، فَيَصِيرُ ذَلِكَ إِلَيْنَا، وَيَأْتِينَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا لَّا وَوَلَدَ.

وَاتَّخَذَ الْمُشْرِكُونَ أَوْثَانًا يَعْبُدُونَهَا؛ لِيُنَالُوا بِهَا الْعِزَّ، وَتَمْنَعَهُمْ
مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَتُقَرَّبَهُمْ إِلَيْهِ، وَتَنْصُرَهُمْ، وَتُسَفِّعَ لَهُمْ.
ليس الأمرُ كما ظنُّوا في آلِهَتِهِمْ، بل سَتَكْفُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعِبَادَةِ
الْمُشْرِكِينَ لَهَا، وَتَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ، فَيَصِيبُهُمُ الدُّلُّ وَالْهَوَانُ
أَلَمْ تَرَ - يَا مُحَمَّدُ - أَنَّا سَلَطْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ،
فَتَهَيَّجَهُمْ إِلَى الْبَاطِلِ، وَتَزَعِجُهُمْ إِلَيْهِ إِزْعَاجًا؟
فَلَا تَسْتَعْجِلْ - يَا مُحَمَّدُ - وَقُوعَ الْهَلَاكِ بِهِمْ، إِنَّمَا نَعُدُّ الْأَعْوَامَ
وَالشُّهُورَ وَالْأَيَّامَ، فَنُوَخِّرُ تَعْذِيبَهُمْ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ، فَإِذَا جَاءَ
الْوَقْتُ الْمَحْدَدُ لَذَلِكَ أَهْلَكْنَاهُمْ.

اذْكُرْ - يَا مُحَمَّدُ - يَوْمَ نَجْمُ الْمُتَّقِينَ، فَنَقُودُهُمْ إِلَى الرَّحْمَنِ
رَاكِبِينَ فِي رَفْعَةٍ وَعُلْوٍ، فَيَقْدَمُونَ إِلَى جَنَّتِهِ.
وَنَسُوقُ الْكُفَّارَ وَالْعُصَاةَ إِلَى جَهَنَّمَ عَطَاشًا مُشَاءً؛ إِذْ لَا لَهُمْ.
ليس لِلْكَافِرِينَ مِنَ الشَّفَاعَةِ شَيْءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَشْفَعُونَ،
وَلَا يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يُشْفَعَ لَهُمْ، أَمَا مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ مُوحِّدًا
وَمُطِيعًا لَهُ؛ فَإِنَّهُ يَشْفَعُ، وَيُشْفَعُ لَهُ.

وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ كَذِبًا: اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَهُ!
لَقَدْ قُلْتُمْ قَوْلًا عَظِيمًا مُنْكَرًا، بِافْتِرَائِكُمْ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَهُ وَلَدًا.
تَكَادُ السَّمَاوَاتُ عَلَى عَظَمَتِهَا وَإِحْكَامِهَا تَنْتَشِقُّ قِطْعًا عِنْدَ
سَمَاعِهَا ذَلِكَ الْقَوْلَ الْمُنْكَرَ؛ إِعْظَامًا لِلرَّبِّ عِزًّا وَجَلًّا، وَتَكَادُ
الْأَرْضُ تَتَصَدَّعُ، وَتَكَادُ الْجِبَالُ عَلَى صَلَابَتِهَا تَسْقُطُ، فَتَنْدَكُ
وَتَتَفَقَّتُ.

يَكَادُ ذَلِكَ أَنْ يَقَعَ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ الْمُشْرِكِينَ نَسَبُوا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا.
وَمَا يَصِحُّ وَلَا يَلِيقُ بِالرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا؛ فَلَا مِثْلَ لَهُ مِنْ
خَلْقِهِ، وَلَا احتِيَاجَ لَهُ إِلَيْهِمْ.

ما مِنْ أَحَدٍ مِنَ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا سَيَأْتِي إِلَى الرَّحْمَنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَقْرَأً لَهُ بَعْبُودِيَّتِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ وَلَدًا لَهُ؟!

لَقَدْ أَحْصَى الرَّحْمَنُ عَدَدَ خَلْقِهِ كُلِّهِمْ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ.

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلَائِقِ سَيَأْتِي إِلَى اللَّهِ بَعْدَ بَعْثِهِ وَحِيدًا؛ بِلَا أَوْلَادٍ، وَلَا مَالٍ، وَلَا أَنْصَارٍ، لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا عَمَلُهُ، فَيَقْضِي اللَّهُ فِيهِ بِحُكْمِهِ، وَيُجَازِيهِ، فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ وَلَدًا لَهُ، أَوْ شَرِيكًا مَعَهُ؟!

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، يُجِبُّهُمْ اللَّهُ، وَيَجْعَلُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَحَبَّةً فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ.

فَإِنَّمَا يَسِّرُنَا الْقُرْآنَ بِلُغَتِكَ الْعَرَبِيَّةِ - يَا مُحَمَّدُ - وَسَهَّلْنَا قِرَاءَةَ الْأَفْظَاهِ، وَفَهَّمْ مَعَانِيهِ؛ لِنُبَشِّرَ الْمُتَّقِينَ بِالثَّوَابِ، وَنُنْذِرَ قَوْمَكَ الشَّدِيدِي الْمَجَادِلَةِ بِالْبَاطِلِ، مِنَ الْعَذَابِ.

وَأَهْلَكْنَا كَثِيرًا مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَ كُفَّارِ فُرَيْشٍ، فَهَلْ تَرَى - يَا مُحَمَّدُ - أَوْ تَشْعُرُ بِأَحَدٍ مِنْ أَوْلَئِكَ الْمَهْلَكِينَ؟ أَوْ هَلْ تَسْمَعُ لَهُمْ صَوْتًا خَفِيًّا؟

ثَبِّينِ هَذِهِ الْحُرُوفَ الْمُقَطَّعَةَ، إِعْجَازَ الْقُرْآنِ؛ حَيْثُ تُظْهِرُ عَجَزَ الْخَلْقِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ، مَعَ أَنَّهُ مَرْكَبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ بِهَا!

مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ - يَا مُحَمَّدُ - لِيَجْلِبَ لَكَ الشَّقَاءُ
إِنَّمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَذْكِيرًا لِمَنْ يَخْشَى اللَّهَ، وَعَذَابَهُ.
نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعَالِيَةَ.
عَلَا الرَّحْمَنُ وَارْتَفَعَ عَلَى عَرْشِهِ، كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ.

لِلَّهِ وَحْدَهُ مُلْكُ مَا فِي السَّمَوَاتِ، وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا
تَحْتَ الثَّرَابِ مِمَّا فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ.
وَإِنْ تَجَهَّزْ بِقَوْلِكَ أَوْ تُسِرَّهُ، فَكُلُّ سَوَاءٍ فِي عِلْمِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ
السِّرَّ، وَمَا هُوَ أَخْفَى مِنْهُ مِمَّا لَمْ يَخْطُرْ عَلَى قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَيَعْلَمُ
مَا سَيَخْطُرُ بِبَالِهِمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

اللَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا هُوَ، وَلَهُ وَحْدَهُ الْأَسْمَاءُ الْكَامِلَةُ فِي
حُسْنِهَا، الدَّالَّةُ عَلَى صِفَاتِ كَمَالِهِ سُبْحَانَهُ.
وَهَلْ أَتَاكَ -يَا مُحَمَّدُ- خَبْرُ مُوسَى؟

حِينَ رَأَى نَارًا -عَقِبَ خُرُوجِهِ مِنْ مَدْيَنَ- فَقَالَ لِأَهْلِهِ: أَقِيمُوا
فِي مَكَانِكُمْ، فَقَدْ أَبْصَرْتُ نَارًا، وَأَنَا ذَاهِبٌ إِلَيْهَا رَجَاءً أَنْ أَجْلِبَ
شِعْلَةً تَسْتَفِينُونِ بِهَا، أَوْ أَلْقَى عِنْدَ النَّارِ مَا يَهْدِينِي الطَّرِيقَ الَّذِي
ضَلَلْنَاهُ.

فَلَمَّا أَتَى مُوسَى إِلَى النَّارِ نَادَاهُ اللَّهُ، فَقَالَ: يَا مُوسَى.
إِنِّي أَنَا رَبُّكَ الَّذِي يُكَلِّمُكَ، فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ؛ لِأَنَّكَ بِالْوَادِي
الْمُطَهَّرِ الْمُبَارَكِ الْمُسَمَّى طُوًى.
وَأَنَا اخْتَرْتُكَ لِلنُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ، وَسَمَاعِ كَلَامِي مُبَاشَرَةً،
فَأَنْصِتْ بَانْتِبَاهٍ وَوَعْيٍ لِمَا أَوْحِيهِ إِلَيْكَ الْآنَ.

إِنِّي أَنَا اللَّهُ الَّذِي لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِي، فَأَخْلِصْ لِي الْعِبَادَةَ
وَحْدِي، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِتَذْكُرَنِي فِيهَا.

إِنَّ السَّاعَةَ الَّتِي يُبْعَثُ فِيهَا الْخَلَائِقُ آتِيَةٌ لَا مُحَالَةَ، وَأَكَادُ
أَخْفِيهَا فَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا أَحَدٌ، وَهِيَ آتِيَةٌ؛ لِئِنَّا لَكُلِّ نَفْسٍ جَزَاءٌ مَا
عَمِلَتْهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

فلا يَصْرَفَنَّكَ -يا موسى- عن الإيمان بالسَّاعةِ، والاستعدادِ لها مَنْ لا يُؤْمِنُ بقيامِها، فلا يَرْجُو ثَوَابًا، ولا يَخَافُ عِقَابًا، وَاتَّبَعَ شَهْوَاتِهِ؛ فَتَهْلِكْ.

قال الله: وما تلك التي تَمْسِكُهَا بِيَدِكَ الَيْمَنَى يا موسى؟
قال موسى: هي عَصَايَ، أَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي قِيَامِي، وَحِينَ أَمْشِي، وَأَضْرِبُ بِهَا الشَّجَرَ؛ لِيَسْقُطَ وَرَقُهُ، فَتَزْعَاهُ غَنَمِي، وَلِي فِيهَا حَوَائِجُ أُخْرَى.

قال الله: أَلْقِ عَصَاكَ يا موسى.
فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ دُونَ تَرَدُّدٍ، فَتَحَوَّلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ إِلَى حَيَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ، تَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ وَخَفِةٍ!
قال الله لموسى: خُذِ الْحَيَّةَ، وَلَا تَخَفْ مِنْهَا، سَنَرُدُّهَا إِلَى هَيْئَتِهَا وَطَبِيعَتِهَا الْأُولَى، فَتَعُودُ عَصَاً كَمَا كَانَتْ.
وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ -وَهُوَ فَتْحَةُ الْقَمِيصِ الَّتِي يَبْرُزُ مِنْهَا الْعُنُقُ- وَأَلْصِقْهَا بِجَنْبِكَ تَحْتَ عَضْدِكَ.
فَعَلْنَا ذَلِكَ؛ لِنُرِيكَ مِنْ أَدْلَتِنَا الْكُبْرَى الدَّالَّةِ عَلَى الْحَقِّ، فَيُطْمَئِنَّ قَلْبُكَ، وَتَثِقَ بَوَعْدِ اللَّهِ بِنَصْرِكَ، وَتَكُونَ حُجَّةً عَلَى مَنْ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ.

اذْهَبْ -يا موسى- إِلَى فِرْعَوْنَ، فَادْعُهُ إِلَى الْحَقِّ، وَإِرْسَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَكَ؛ لِأَنَّهُ تَجَاوَزَ حَدَّهُ، فَادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ، وَتَمَرَّدَ عَلَى رَبِّهِ، وَعَلَا فِي الْأَرْضِ، وَأَفْسَدَ فِيهَا.

قال موسى: يَا رَبِّ وَسَّعَ لِي صَدْرِي؛ لِأَعْيِي مَا تُوحِيهِ إِلَيَّ، وَاتَّجَرَّأَ عَلَى مَخَاطَبَةِ فِرْعَوْنَ، وَأَتَحَمَّلَ أَذَاهُ وَوَعِيدَهُ.
وَسَهَّلَ عَلَيَّ الْقِيَامَ بِشَأْنِ الرِّسَالَةِ، وَاجْعَلْ مَا تُكَلِّفُنِي بِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَمَا يَعْثُرُنِي مِنَ الشَّدَائِدِ فِي سَبِيلِكَ هَيْئًا عَلَيَّ.

وأطلق الانحباسَ الشَّدِيدَ الَّذِي فِي لِسَانِي؛ كِي يَنْطَلِقَ،
وَيَسْهُلَ عَلَيَّ الْكَلَامُ.

فِيهِمَ النَّاسُ قَوْلِي حِينَ أَخَاطِبُهُمْ.
وَاجْعَلْ لِي مُعِينًا مِنْ أَهْلِي أَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، فَيَحْمِلُ عَنِّي بَعْضَ
ثِقَلِ شَأْنِ الدَّعْوَةِ، وَيُسَاعِدُنِي عَلَى مَا كَلَّفْتَنِي بِهِ
اجْعَلْ هَارُونَ أَخِي وَزِيرِي.
قَوِّ بِهَارُونَ ظَهْرِي، وَأَعِثِّي بِهِ.
وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي النُّبُوَّةِ، وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ إِلَى فِرْعَوْنَ.
لِنَتَعَاوَنَ مَعًا عَلَى عِبَادَتِكَ، فَنَصِلِي لَكَ، وَنَعْظِمَكَ بِالنَّسِيحِ
لَكَ كَثِيرًا.

وَنَذْكُرَكَ ذِكْرًا كَثِيرًا.
إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا مُبْصِرًا، لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا.
قَالَ اللَّهُ: قَدْ أُعْطِيتَ كُلُّ مَا طَلَبْتَهُ -يَا مُوسَى-.
وَلَقَدْ أَنْعَمْنَا عَلَيْكَ قَبْلَ نِعْمَةِ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَإِجَابَةِ الدُّعَاءِ
مَرَّةً أُخْرَى، وَأَنْتَ طِفْلٌ صَغِيرٌ.
حِينَ أَلْهَمْنَا أَمَّكَ فِي شَأْنِكَ.

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهَا أَنْ أَلْقِ مُوسَى فِي الصُّنْدُوقِ، ثُمَّ اطْرَحِيهِ وَهُوَ
فِي الصُّنْدُوقِ فِي نَهْرِ النَّيْلِ، وَسَيُلْقِيهِ النَّيْلُ بِالشَّاطِئِ، وَحِينَئِذٍ
يَأْخُذُهُ فِرْعَوْنُ، وَقَدْ أَحْبَبْتُكَ -يَا مُوسَى- وَجَعَلْتُكَ مَحْبُوبًا لِكُلِّ مَنْ
يِرَاكَ، وَثَرَّبَنِي فِي قَصْرِ فِرْعَوْنَ عَلَى مَا أُرِيدُ بِمَرَأَى مَنِّي،
وَتَحْتَ رِعَايَتِي.

وَقَدْ كَانَتْ أَخْتُكَ تَتَّبِعُكَ فَوَجَدْتُكَ لَدَى آلِ فِرْعَوْنَ يَطْلُبُونَ لَكَ
مُرَضِعًا فَقَالَتْ: هَلْ أَذْلكُمْ عَلَى مَنْ يَضُمُّ هَذَا الطِّفْلَ، فَيُرْضِعُهُ
وَيُرَبِّيهِ؟ فَردَدْنَاكَ إِلَى أَمِّكَ؛ لَتَقْرَحَ بَلْقِيَاكَ وَسَلَامَتِكَ، وَلَا تَحْزَنَ

على فِرَاعِكَ، وَقَتَلْتَ الرَّجُلَ الْقَبْطِيَّ، فَجَجَيْنَاكَ لَمَّا أَرَادَ آلُ فِرْعَوْنَ
قَتْلَكَ اقْتِصَاصًا لِقَتِيلِهِمْ، فَفَرَرْتَ خَائِفًا إِلَى مَدِينٍ، وَاخْتَبَرْنَاكَ
بِإِقَاعِكَ فِي الْمَحَنِّ، وَتَخْلِيصِكَ مِنْهَا، وَأَقَمْتَ فِي مَدِينِ سَنِينَ
كَثِيرَةٍ عِنْدَ أَهْلِهَا، ثُمَّ حَضَرْتَ الْآنَ إِلَى الْوَادِ الْمُقَدَّسِ فِي الْوَقْتِ
الَّذِي قَدَّرْتُهُ.

وَاصْطَفَيْتُكَ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ بِالنَّعَمِ الْكَثِيرَةِ؛ لَتَكُونَ لِي حَبِيبًا
مَخْتَصًّا، وَرَسُولًا لَتُبْلِغَ رِسَالَتِي.

اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ هَارُونُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِأَدْلَتِي وَمُعْجَزَاتِي
الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِكُمَا، وَلَا تَضَعُفَا، أَوْ تَفْشُرَا عَنْ ذِكْرِي
اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ؛ لِأَنَّهُ تَمَرَّدَ وَتَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ،
وَالنَّكْبَرِ وَالْعُدْوَانِ.

فَقُولَا لَهُ قَوْلًا رَقِيقًا لَطِيفًا؛ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ الْحَقَّ الْمَوَافِقَ لِفَطْرَتِهِ
فِيَتَّبِعَهُ؛ أَوْ يَخْشَى الْعَذَابَ فَيَتْرَكَ طُغْيَانَهُ، وَيُطِيعَ رَبَّهُ.

قَالَ مُوسَى وَهَارُونُ: رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ مِنْ فِرْعَوْنَ أَنْ يَعْجَلَ
بِعُقُوبَتِنَا قَبْلَ دَعْوَتِهِ إِلَى مَا أَمَرْتَنَا، أَوْ يَتَمَرَّدَ عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ.
قَالَ اللَّهُ لَهُمَا: لَا تَخَافَا مِنْ فِرْعَوْنَ، إِنَّنِي مَعَكُمْ بِالنَّصْرِ
وَالْحِفْظِ، أَسْمَعْ كَلَامَكُمْ وَكَلَامَ فِرْعَوْنَ، وَأَرَاكُمْ وَأَرَى أَفْعَالَكُمْ
وَأَحْوَالَكُمْ جَمِيعًا؛ فَاطْمَئِنَّا.

فَازْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ فَقُولَا لَهُ: إِنَّا رَسُولَانِ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ،
فَأُطْلِقْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَذْهَبُوا مَعَنَا، وَلَا تُعَذِّبْهُمْ، قَدْ جَنَّاكَ بِمُعْجَزَةٍ
تَدُلُّ عَلَى صِدْقِنَا، وَالسَّلَامَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ لِمَنْ اتَّبَعَ هَدَى
اللَّهِ.

إِنَّا قَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْنَا أَنَّ عَذَابَهُ عَلَى مَنْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ،
وَأَعْرَضَ عَنْ اتِّبَاعِهِ.

فَلَمَّا أَتَى مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَكَلَّمَاهُ بِمَا أَمَرَهُمَا
اللَّهُ، قَالَ فِرْعَوْنُ: فَمَنْ رَبُّكُمَا الَّذِي تَعْبُدَانِيهِ وَتَزْعُمَانِ أَنَّهُ أَرْسَلَكُمَا
إِلَيَّ؟

قال موسى: رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ مَخْلُوقٍ مَا يَنَاسِبُهُ فِي كُلِّ
شَيْءٍ، وَأَعْطَاهُمْ كُلَّ مَا يَحْتَاجُونَهُ، ثُمَّ هَدَى كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلَى
تَحْصِيلِ مَنَافِعِهِ، وَالْحَذَرِ مِنْ مَضَارِّهِ.

قال فِرْعَوْنُ: فَمَا شَأْنُ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ، مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ أَهْلُهَا؟
فَلَوْ كَانَ مَا تَقُولُهُ حَقًّا، لَمْ يَخَفْ عَلَى الْقُرُونِ الْأُولَى وَلَمْ يُهْمَلَوْهُ.
قال له موسى: عِلْمُ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ وَأَعْمَالُ أَهْلِهَا مَكْتُوبَةٌ
فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَهَمَّ أَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا، فَسُجِّزَ بِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَلَا
عِلْمَ لِي بِهِمْ، لَا يَشِدُّ عَنْ عِلْمِ رَبِّي شَيْءٌ، وَلَا يَنْسَى شَيْئًا.
اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مُمَهَّدَةً، وَجَعَلَ بَيْنَ أَوْدِيَّتَيْهَا
وَجِبَالِهَا طُرُقًا تَمْشُونَ فِيهَا، وَأَنْزَلَ مَطَرًا، فَأَخْرَجَ بِسَبَبِهِ أَصْنَافًا
مِنَ النَّبَاتَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ.

كُلُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ طَيِّبِ مَا أَنْبَتْنَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْحُبُوبِ
وَالنَّامِرِ، وَارْعَوْا فِيهَا إِبِلَكُمْ وَبَقَرَكُمْ وَغَنَمَكُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَعَلَامَاتٍ لِأُولِي الْعُقُولِ تَذَكُّهُمْ عَلَى الْحَقِّ.
مِنْ ثَرَابِ الْأَرْضِ خَلَقْنَا أَبَاكُمْ آدَمَ، وَفِي الْأَرْضِ نُعِيدُكُمْ بَعْدَ
مَوْتِكُمْ، فَتَصِيرُونَ ثَرَابًا فِي قُبُورِكُمْ، وَمِنْهَا نَبْعَثُكُمْ أَحْيَاءً مَرَّةً
أُخْرَى.

أَرَيْنَا فِرْعَوْنَ جَمِيعَ مُعْجَزَاتِنَا الدَّالَّةِ عَلَى الْحَقِّ، فَكَذَّبَ بِهَا،
وَلَمْ يَقْبَلْهَا.

قال فِرْعَوْنُ: هَلْ جِئْتُنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ دُورِنَا فِي مِصْرَ،
وَتَسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى؟

فَأُلْعَارِضْنَاكَ بِسِحْرِ كَسِحْرِكَ، فَحَدِّدْ مَوْعِدًا لَا نَتَخَلَفُ عَنْ
الْحُضُورِ فِيهِ، فِي مَوْضِعٍ مُسْتَوٍ.

قَالَ مُوسَى: مَوْعِدُكُمْ فِي يَوْمِ الْعِيدِ، وَفِي الْمَكَانِ الْمَعْتَادِ
لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهِ، وَيُسَاقُ جَمِيعُ النَّاسِ لِحُضُورِ اجْتِمَاعِنَا فِي
وَقْتِ الضُّحَى.

فَانصَرَفَ فِرْعَوْنُ، وَجَمَعَ السَّحَرَةَ، ثُمَّ أَتَى لِلْمَوْعِدِ
الْمَضْرُوبِ.

قَالَ مُوسَى لِلْسَّحَرَةِ: وَيَلَكُمْ! لَا تَخْتَلِقُوا كَذِبًا عَلَى اللَّهِ؛
فَيَسْتَأْصِلَكُمْ بِعَذَابٍ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ فَاتَهُ مَطْلُوبُهُ

فَلَمَّا سَمِعَ السَّحَرَةُ كَلَامَ مُوسَى اخْتَلَفُوا، وَتَجَادَبُوا الْحَدِيثَ
سِرًّا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَبَالَغُوا فِي إِخْفَائِهِ مِنْ فِرْعَوْنَ.

قَالَ السَّحَرَةُ: مَا مُوسَى وَهَارُونُ إِلَّا سَاحِرَانِ، يُرِيدَانِ أَنْ
يُخْرِجَاكَ مِنْ مِصْرَ، بِالْاِسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا بِسِحْرِهِمَا، وَيَذْهَبَا بِدِينِكَ
الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ.

قَالَ السَّحَرَةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: فَاجْتَهِدُوا فِي إِحْكَامِ سِحْرِكُمْ،
وَاعِزُّوا كُلُّكُمْ عَلَى كَيْدِ مُوسَى، ثُمَّ احْضُرُوا مُجْتَمِعِينَ فِي
صَفٍّ.

قَالُوا: يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تَرْمِيَ عَصَاكَ قَبْلَنَا، وَإِمَّا أَنْ نَرْمِيَ مَا
لَدَيْنَا قَبْلَكَ.

قَالَ مُوسَى: أَلْفُوا أَنْتُمْ أَوَّلًا، فَفَعَلُوا فَخِيلَ لِمُوسَى أَنْ حَبَالَهُمْ
وَعَصِيَّهُمْ تَتَحَرَّكُ بِسَبَبِ سِحْرِهِمْ.

فَوَجَدَ مُوسَى فِي نَفْسِهِ خَوْفًا.
قُلْنَا لِمُوسَى: لَا تَخَفْ؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَالِبُ الْقَاهِرُ، الْمُنْتَصِرُ عَلَى
فِرْعَوْنَ وَسَحَرَتِهِ وَجُنْدِهِ.

وَأَلْقِ عَصَاكَ فَتَنْبَلِغُ بَقُوَّةٍ وَسُرْعَةٍ جِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهِمْ الَّتِي
خَيَّلُوا إِلَى النَّاسِ أَنَّهَا حَيَاتٌ تَتَحَرَّكُ، إِنَّ الَّذِي صَنَعَهُ هُوَ لَا حِيلَةَ
مِنْ سَاحِرٍ، وَلَا يَظْفَرُ السَّاحِرُ بِمَطْلُوبِهِ أَيْنَمَا تَوَجَّهَ، لَا فِي الدُّنْيَا
وَلَا فِي الْآخِرَةِ.

فَلَمَّا أَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ، وَابْتَلَعَتْ عَصِيَّ السَّحَرَةِ وَجِبَالَهُمْ،
وَعَلِمُوا يَقِينًا أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ السِّحْرِ وَالشَّعْوَذَةِ، بَلْ
هُوَ حَقٌّ، وَمُعْجَزَةٌ مِنَ اللَّهِ، سَجَدَ السَّحَرَةُ لِلَّهِ وَأَعْلَنُوا إِيمَانَهُمْ.

قَالَ فِرْعَوْنُ لِلْسَّحَرَةِ: هَلْ آمَنْتُمْ بِمُوسَى قَبْلَ أَنْ أَسْمَحَ لَكُمْ
بِذَلِكَ؟! إِنَّ مُوسَى لِرَأْسِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ، وَاتَّفَقْتُمْ مَعَهُ
عَلَى أَنْ يَغْلِبَكُمْ؛ مَكِيدَةٌ لِي وَلِقَوْمِي! وَأَقْسَمُ أَنْ أَقْطَعَ مِنْ كُلِّ مِنْكُمْ
يَدَهُ وَرِجْلَهُ مِنْ جِهَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ -أَي: يَقْطَعُ يَمْنَى الْيَدَيْنِ وَيُسْرَى
الرَّجْلَيْنِ، أَوْ الْعَكْسَ-، وَأَنْ أَصْلِبَكُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ، وَلَتَعْلَمَنَّ
مَنْ هُوَ أَشَدُّ عَذَابًا، وَأَدْوَمُ عِقَابًا!

قَالَ السَّحَرَةُ: لَنْ نُقَدِّمَكَ -يَا فِرْعَوْنُ- عَلَى الْحَقِّ، وَلَنْ نُؤْثِرَكَ
عَلَى اللَّهِ الَّذِي خَلَقَنَا، مِنَ الْعَدَمِ، وَابْتَدَأَ خَلْقَنَا مِنْ طِينٍ؛ فَهُوَ
الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ لَا أَنْتَ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ أَنْ تَصْنَعَهُ
بِنَا، إِنَّمَا يَنْفُذُ أَمْرُكَ، وَتَقْدِرُ عَلَى تَعْذِيبِنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَقَطْ.

إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا؛ لِيَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَيَغْفِرَ لَنَا مَا أَكْرَهْتُنَا عَلَيْهِ مِنْ
عَمَلِ السِّحْرِ، وَاللَّهُ خَيْرٌ لَنَا مِنْكَ، وَأَجْرُهُ خَيْرٌ مِنْ أَجْرِكَ، وَهُوَ
أَدْوَمُ ثَوَابًا لِلطَّاعِينَ، وَأَدْوَمُ عَذَابًا لِلْكَافِرِينَ، وَهُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا
يَمُوتُ، أَمَّا أَنْتَ فَهَالِكٌ.

إِنَّهُ مَنْ يَمُتْ وَيُلَاقِ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُجَازِيَهُ بِعَمَلِهِ، وَالْحَالُ
أَنَّهُ كَافِرٌ بِاللَّهِ؛ فَإِنَّ جَزَاءَهُ جَهَنَّمُ، لَا يَمُوتُ فِي جَهَنَّمَ فَيَسْتَرِيحُ،
وَلَا يَحْيَا حَيَاةً يَتَلَدَّدُ بِهَا وَيَنْتَفِعُ.

وَمَنْ يَمُتْ وَيُلَاقِ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْحَالُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَحَدَّه، وَقَدْ عَمَلَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ؛ فَأُولَئِكَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ الدَّرَجَاتُ الْعَالِيَةُ.

وَتِلْكَ الدَّرَجَاتُ الْغُلَا هِيَ بَسَاتِينُ إِقَامَةٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَغُرْفِهَا الْأَنْهَارُ، مَآكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَذَلِكَ الثَّوَابُ لِمَنْ طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الْكُفْرِ، وَالشِّرْكِ، وَالْمَعَاصِي، وَنَمَّاهَا بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ سِرْ مِنْ مِصْرَ لَيْلًا مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لِخُرُوجِهِمْ مِنْ قَبْضَةِ فِرْعَوْنَ، فَاتَّخَذَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَابِسًا، فَلَا تَخَافُ أَنْ يُدْرِكَكُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنْدُهُ، وَلَا تَخْشَى الْغَرَقَ فِي الْبَحْرِ.

فَلَحِقَ فِرْعَوْنُ وَمَعَهُ جُنُودُهُ، مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ حِينَ قَطَعُوا الْبَحْرَ، فَأَصَابَ فِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ مِنَ الْبَحْرِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَفُوقُ الْوَصْفَ، فَغَرِقُوا جَمِيعًا.

وَصَرَفَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ الْقَبِطَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَلَمْ يَهْدِهِمْ إِلَيْهِ، فَلَمْ يُحْصِلُوا الْخَيْرَ وَالنَّجَاةَ.

قَالَ اللَّهُ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَبْنَاكُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ، فَأَغْرَقْنَاهُ وَجُنُودَهُ، وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ جَبَلِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ لِأَنْزَالِ التَّوْرَةِ، وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ رِزْقًا طَيِّبًا، تَحْصِلُونَ عَلَيْهِ بِلَا مَشَقَّةٍ.

وَقُلْنَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: كُلُوا مِنَ الطَّعَامِ الْحَلَالِ اللَّذِيزِ الَّذِي رَزَقْنَاكُمْ، وَلَا تَتَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِيهِ -وَمِنْ ذَلِكَ: الْإِسْتِعَانَةُ بِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ- فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ غَضَبُ اللَّهِ، وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ وَشَقِيَ.

وَإِنِّي لَكَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ لِمَنْ تَابَ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ ضَلَالٍ، وَآمَنَ
بِالْحَقِّ، وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، ثُمَّ لَزِمَ ذَلِكَ، وَاسْتَمَرَّ عَلَيْهِ.
وَأَيُّ شَيْءٍ حَمَلَكَ - يَا مُوسَى - عَلَى أَنْ تَسْبِقَ قَوْمَكَ إِلَى
الطُّورِ؟!

قال موسى: هم آثون من ورائي، وسيلحقون بي، وسبقتهم -
يا ربّ - مُسَارَعَةً فِي طَلَبِ رِضَاكَ.
قال الله لموسى: فَإِنَّا قَدْ ابْتَلَيْنَا قَوْمَكَ بَعْدَ خُرُوجِكَ مِنْهُمْ بِعِبَادَةِ
الْعِجْلِ، وَقَدْ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ الَّذِي أَخْرَجَ لَهُمُ الْعِجْلَ، وَدَعَاهُمْ
إِلَى عِبَادَتِهِ فَأَطَاعُوهُ.

فانصرف موسى مِنَ الطُّورِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي حَالِ
غَضَبٍ شَدِيدٍ مِنْهُمْ، وَحُزْنٍ عَلَى مَا أَحْدَثُوهُ مِنْ ضَلَالٍ، وَقَالَ: يَا
قَوْمَ، أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا بِحُصُولِ الْخَيْرِ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ إِنْ أَطَعْتُمُوهُ؟ فَهَلْ طَالَ عَلَيْكُمْ أَنْتِظَارٌ مَا وَعَدَكُمْ اللَّهُ،
وَنَسِيتُمْ نِعَمَهُ؟! فَإِنَّ زَمَنَ ذَلِكَ لَمْ يَبْعُدْ حَتَّى تَيَاسُوا مِنَ الْوَفَاءِ،
وَتَعْبُدُوا غَيْرَهُ، أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَجِبَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ؟
قال بنو إسرائيل لموسى: مَا أَخْلَفْنَا مَا عَاهَدْتَ إِلَيْنَا بِاخْتِيَارِنَا،
وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَثْقَالًا مِنْ خُلِيِّ آلِ فِرْعَوْنَ، فَأَلْقَيْنَاهَا فِي النَّارِ، وَأَلْقَى
السَّامِرِيُّ أَيْضًا مَا كَانَ فِي يَدِهِ.

فأَخْرَجَ السَّامِرِيُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْخُلِيِّ الَّتِي قَذَفُوهَا فِي
النَّارِ جَسَدَ عِجْلٍ، لَهُ صَوْتُ الْبَقَرِ، فَقَالُوا: هَذَا هُوَ مَعْبُودُكُمْ
وَمَعْبُودُ مُوسَى الَّذِي غَفَلَ عَنْهُ هَاهُنَا، وَذَهَبَ إِلَى الْجَبَلِ لِيَطْلُبَهُ!
أَفَلَا يَرَى الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ، وَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ
إِنْ كَلَّمُوهُ؟! وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ضَرْهِمْ وَلَا نَفْعِهِمْ؟ فَكَيْفَ يَكُونُ
إِلَهًا؟!

ولقد قال هارون لِعَبْدَةِ الْعِجْلِ، قَبْلَ رُجُوعِ مُوسَى: يَا قَوْمَ،
إِنَّمَا ابْتَلَاكُمْ اللَّهُ بِالْعِجْلِ؛ لِيُظْهَرَ مَنْ يَثْبُتَ عَلَى الْحَقِّ، وَمَنْ
يَضِلُّ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ هُوَ الرَّحْمَنُ، لَا الْعِجْلُ الَّذِي تَعْبُدُونَهُ؛ فَاتَّبِعُونِي
عَلَى الْحَقِّ، وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَإِخْلَاصِ
الْعِبَادَةِ لَهُ.

قال عَبْدَةُ الْعِجْلِ: سَنَظِلُّ مُقِيمِينَ عَلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ، حَتَّى
يَأْتِيَ إِلَيْنَا مُوسَى، فَنَسْمَعَ كَلَامَهُ فِي شَأْنِ الْعِجْلِ، أَوْ نَنْظُرَ صَنِيعَهُ
فِيهِ.

قال موسى لأخيه لَمَّا رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ: يَا هَارُونَ، أَيُّ شَيْءٍ
مَنَعَكَ حِينَ رَأَيْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَخْطَوْا طَرِيقَ الْحَقِّ بِعِبَادَتِهِمْ
الْعِجْلَ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ؟

أَيُّ شَيْءٍ مَنَعَكَ أَنْ تَلْحَقَ بِي؟ أَفَخَالَفْتَ أَمْرِي؟
ثُمَّ أَخَذَ مُوسَى بِلِحْيَةِ هَارُونَ وَرَأْسِهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ هَارُونَ:
يَا ابْنَ أُمِّ، لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي، وَلَا بِشَعْرِ رَأْسِي، إِنِّي خَشِيتُ أَنْ
تُبْعَثَ وَتَرْكُتَهُمْ أَنْ يَقُولَ لِي: فَرَّقْتَ بَيْنَ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
وَلَمْ تَحْفَظْ وَصِيَّتِي، وَتَرَاعَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ حِينَ اسْتَخْلَفْتُكَ عَلَيْهِمْ.
قال موسى: فَمَا شَأْنُكَ -يَا سَامِرِيُّ-، وَمَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى مَا
صَنَعْتَ؟!

قال السَّامِرِيُّ: رَأَيْتُ مَا لَمْ يَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَعَلِمْتُ مَا لَمْ
يَعْلَمُوا! فَأَخَذْتُ بِكَفِّي تَرَابًا مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ، فَأَلْقَيْتُ التَّرَابَ،
فَكَانَ مَا تَرَاهُ، كَذَلِكَ زَيَّنْتُ لِي نَفْسِي

قال موسى للسَّامِرِيِّ: فَلَأَنَّكَ أَخَذْتَ مَا لَمْ يَنْبَغِ لَكَ أَخْذَهُ وَمَسَّهُ
مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ، فَاخْرُجْ مِنْ بَيْنِنَا؛ فَإِنَّ لَكَ مَدَّةَ حَيَاتِكَ أَنْ تَقُولَ:
لَا أَمْسُ وَلَا أَمْسُ، فَلَا يَمْسُكَ وَلَا يَخَالِطُكَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَلَا

تمسُّ ولا تخالطُ أحدًا منهم، وإنَّ لك وعدًا قاطعًا بعذابِك، وانظُرْ
إلى العَجَلِ الَّذي لازمتَ عبادتَه، واللهِ لَنَحْرَقَنَّهُ في النَّارِ، ثُمَّ
لَنَفْرَقَنَّ أَجْزَاءَهُ في البَحْرِ تَفْرِيقًا.
إنَّمَا معبودُكم اللهُ، الَّذي لا معبودَ بِحَقِّ إِلَّا هو، أحاطَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عِلْمًا، فلا يَخْفَى عليه شَيْءٌ.

كما قَصَصْنَا عليك -يا مُحَمَّدُ- قِصَّةَ موسى وَفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ،
وَأَخْبَارَ بني إِسْرَائِيلَ مع موسى؛ كذلك نَقِصُّ عليك مِنَ الْأَخْبَارِ
الْمَاضِيَةِ، وَقَدْ أُعْطِينَاكَ مِنْ عِنْدِنَا عَظِيمَةً نَفِيسَةً خَاصَّةً، وَهِيَ
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْقُرْآنِ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ، وَيَعْمَلْ بِمَا فِيهِ؛ فَإِنَّهُ
يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ يَحْمِلُ إِنْثِمًا عَظِيمًا.
مَآكِثِينَ فِي جِزَاءِ هَذَا الْوِزْرِ؛ فِي النَّارِ، وَبِئْسَ لِلْمُعْرِضِينَ
عَنِ الْقُرْآنِ جِمْلُهُمُ النَّقِيلُ مِنَ الْآثَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
وَذَلِكَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الْقَرْنِ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَيُحْشَرُ الْكَافِرُونَ
وَالْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ زُرْقًا.

يَتَهَامَسُ الْمُجْرِمُونَ بَيْنَهُمْ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سِرًّا: مَا
لَبِثْتُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَّا عَشْرَةَ أَيَّامٍ فَحَسَبُ! نَحْنُ أَعْلَمُ مِنْهُمْ بِمَا يَقُولُونَ، وَنَسْمَعُ تَنَاجِيَهُمْ، حِينَ يَقُولُ
أَعْلَمُهُمْ، وَأَعْدَلُهُمْ قَوْلًا، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَى التَّقْدِيرِ: مَا لَبِثْتُمْ فِي الدُّنْيَا
إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا.

وَيَسْأَلُكَ قَوْمُكَ -يا مُحَمَّدُ- عَنِ الْجِبَالِ: مَا حَالُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!
فَقُلْ لَهُمْ: يُزِيلُهَا اللَّهُ مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَيَذْكُهَا، وَيُقَتِّلُهَا ثُمَّ يُطَيِّرُهَا فِي
الْهَوَاءِ.

فَيَتْرُكُ اللَّهُ مَوَاضِعَ الْجِبَالِ أَرْضًا سَهْلَةً مُسْتَوِيَةً، لَا نَبَاتَ فِيهَا وَلَا بِنَاءً.

لَا تَرَى -أَيُّهَا النَّاطِرُ- فِي الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَيِّلاً عَنِ الْإِسْتَوَاءِ؛ لَا ارْتِفَاعًا وَلَا انْخِفَاضًا.

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَتَّبِعُ النَّاسُ حِينَ يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ صَوْتَ الْمَلِكِ الَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَى مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، فَيَتَوَجَّهُونَ نَحْوَهُ لَا يَحِيدُونَ عَنْهُ، فَلَا يَمِيلُونَ يَمِينًا، وَلَا شِمَالًا، وَسَكَنَتْ أَصْوَاتُ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلرَّحْمَنِ خُضُوعًا لَهُ وَهَيْبَةً مِنْهُ، فَلَا تَسْمَعُ -أَيُّهَا السَّمِيعُ- إِلَّا صَوْتًا خَفِيفًا.

فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، إِلَّا شَفَاعَةُ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ أَنْ يَشْفَعَ أَوْ يُشْفَعَ لَهُ، وَرَضِيَ قَوْلُهُ.

يَعْلَمُ اللَّهُ مَا يَسْتَقْبِلُهُ الْخَلَائِقُ مِمَّا يَكُونُ فِي الْآخِرَةِ، وَيَعْلَمُ مَا مَضَى وَرَاءَهُمْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَأَعْمَالِهِمْ فِيهَا، أَمَا هُمْ فَلَا يَحِيطُونَ عِلْمًا بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَعَنْتَ وَجْهَ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلَّهِ ذِي الْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ، الْقَائِمِ بِنَفْسِهِ، الْمَقِيمِ لغيره، وَقَدْ خَسِرَ مَنْ أَتَاهُ حَامِلًا شِرْكًَا أَوْ كُفْرًا بِاللَّهِ، أَوْ عَمَلًا بِمَعْصِيَتِهِ.

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَبِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ؛ فَلَا يَخَافُ أَنْ يُزَادَ فِي سَيِّئَاتِهِ، وَلَا أَنْ يُنْقَصَ مِنْ حَسَنَاتِهِ.

وكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَاضِحًا؛ لَتَفْهَمَ مَعَانِيَهُ، وَكَرَّرْنَا فِيهِ آيَاتِ التَّخْوِيفِ وَالتَّهْدِيدِ بِأَسَالِيبٍ مُتَنَوِّعَةٍ؛ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ اللَّهَ أَوْ يَتَذَكَّرُونَ فَتَنْفَعَهُمُ الذِّكْرَى

فتعالى الله، المَلِكُ، وهو الحَقُّ المطلق. ولا تُبَادِرْ -يا مُحَمَّدُ- بتلاوة وحفظ ما يُوحى إليك قَبْلَ الفِراغِ منه، وقُلْ: يا رَبِّ، زدني عِلْمًا إلى ما عَلَّمْتَنِي.

ولقد وصَّينا آدمَ بالألَّا يَقْرَبَ مِنَ الشَّجَرَةِ، وحَدَرْنَاهُ مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ، فنَسِيَ ذلك، فلمَّا وسَّوسَ له الشَّيْطَانُ أَطَاعَهُ، وأَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ.

واذْكُرْ -يا مُحَمَّدُ- حينَ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ: اسْجُدُوا لِآدَمَ؛ طَاعَةً لِي، وتكریمًا له، فسَجَدُوا إِلَّا إبْلِيسَ امتنعَ عن السُّجودِ.

فقلنا: يا آدَمُ، إِنَّ هَذَا الَّذِي عَصَانِي وَلَمْ يَسْجُدْ لَكَ، عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ حَوَاءَ، فاحذَرَا أَنْ يَتَسَبَّبَ فِي إِخْرَاجِكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ، فتنعَبَ -يا آدَمُ- فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَالْكِسْوَةِ وَالْمَأْوَى.

إِنَّ لَكَ -يا آدَمُ- أَلَّا تَجُوعَ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا تَعْرِىَ عَنِ اللَّبَاسِ. وَأَنْتَ لَا تَعْطَشُ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا تَبْرُزُ لِلشَّمْسِ فَيُؤْذِيكَ حَرُّهَا. فَألقى إبليسُ وسوسته إلى آدَمَ، فقال: يا آدَمُ، هل أدلك على شَجَرَةٍ إِنْ أَكَلْتَ مِنْهَا تَخَلَّدَ فِي الْجَنَّةِ، وَيَكُنْ لَكَ مُلْكٌ لَا يَفْنَى وَلَا يَنْقَطِعُ؟!

فأَكَلَ آدَمُ وَحَوَاءُ مِنَ الشَّجَرَةِ؛ فظَهَرَتْ لهما عوراتُهما بعدما كانت مستورةً عنهما، وأخذَا يُلصِقَانِ مِنْ وَرَقِ أَشْجارِ الْجَنَّةِ؛ لِيَسْتُرَا بِهِ عَوْرَاتِهِمَا، وخَالَفَ آدَمُ وَصِيَّةَ رَبِّهِ، فأَخْطَأَ الصَّوَابَ، وَلَمْ يَظْفَرْ بِمَا وَعَدَهُ الشَّيْطَانُ.

ثمَّ اختارَ اللهُ تعالى آدَمَ بَعْدَ مَعْصِيَتِهِ، ووفَّقه للتَّوْبَةِ وقبِلَها منه، وهَدَاهُ إِلَى الثَّبَاتِ عَلَيْهَا.

قال اللهُ لِآدَمَ -ومعه زوجته- وإبليسَ: اهْبِطَا مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ، بَعْضُكُمْ أَعْدَاءُ لِبَعْضٍ؛ فَأَدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ أَعْدَاءُ لِإِبْلِيسَ

وَذُرِّيَّتِهِ، فَإِنْ يَأْتِكُمْ مِنْ عِنْدِي رَسُولٌ، وَكِتَابٌ؛ فَمَنْ اتَّبَعَ رُسُلِي وَعَمِلَ بِكُتُبِي، اهْتَدَى، وَسَعِدَ.

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن كِتَابِي فَلَمْ يَتَذَكَّرْهُ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ؛ فَلَهُ مَعِيشَةٌ ضَيِّقَةٌ فِي الدُّنْيَا، وَفِي الْبَرَزَخِ، وَفِي الْآخِرَةِ، وَيُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى لَا يُبْصِرُ.

قال: يَا رَبِّ، لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى الْبَصَرِ، وَقَدْ كُنْتُ فِي الدُّنْيَا مُبْصِرًا؟

قال الله له: ذَلِكَ لِأَنَّكَ تَرَكْتَ آيَاتِي فِي الدُّنْيَا وَلَمْ تَعْمَلْ بِهَا، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَتَرَكُّ فِي الْعَذَابِ.

وهكذا نجزي مَنْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ، فَعَصَى رَبَّهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِهِ، وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ أَلَمًا، وَأَدْوَمُ.

أَفَلَمْ يَتَّبِعِينَ لِمُشْرِكِي الْعَرَبِ كَثْرَةً مَنْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ لِكُفْرِهِمْ، وَهُمْ يَسِيرُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِذَا سَافَرُوا، أَفَلَا يَخَافُونَ أَنْ نُهْلِكَهُمْ مِثْلَهُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ؟! إِنَّ فِي إِهْلَاكِ الْأُمَمِ الْمَكْذِبَةِ لَدَلَالَاتٍ لِدَوِي الْعُقُولِ الصَّاحِحَةِ.

ولولا تَقْدِيرُ اللَّهِ تَأْخِيرَ الْعَذَابِ إِلَى وَقْتٍ مُّحَدَّدٍ؛ لَلَزِمَهُمُ الْهَلَاكُ عَاجِلًا.

فاصْبِرْ -يا مُحَمَّدُ- عَلَى مَا يَقُولُ كُفَّارُ قَوْمِكَ فَيْكُ، وَلَا تَسْتَعْجِلْ عَذَابَهُمْ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ، قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، وَسَبِّحْ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ؛ لَعَلَّكَ تَرْضَى بِمَا يُعْطِيكَ رَبُّكَ مِنَ الثَّوَابِ، وَيَهْوَنَ عَلَيْكَ الصَّبْرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَلَا تُطِلِ النَّظَرَ بِإِعْجَابٍ وَرَغْبَةٍ إِلَى مَا أُعْطِيَناه لِأَغْنِياءِ
الْمُعْرَضِينَ عَنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ مِنْ نِعَمٍ زَانِلَةٍ؛ فَإِنَّمَا نَخْتِـبُ رَهم بِها،
وِثْوابُ اللَّهِ لَكَ فِي الآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيا وَأَدْوَمُ.
وَأُمِرْ أَهْلُكَ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَحُثُّهُمْ عَلَى الْمَحَافِظَةِ عَلَيْها،
وَاصْبِرْ عَلَى الْقِيامِ بِها، وَأَدائها كَمَا يَنْبَغِي، لَا تُكَلِّفُكَ -يا مُحَمَّدُ-
رِزْقًا، بَلْ نَكَلِّفُكَ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَقَدْ تَكَلَّفْنَا بِرِزْقِكَ؛ فَلَا تَنْشَغِلْ بِهِ
عَنِ الصَّلَاةِ، وَالْعَاقِبَةُ الْمَحْمُودَةُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ لِأَهْلِ النَّقْوَى.
وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: هَلَّا يَأْتِينا مُحَمَّدٌ بِمُعْجِزَةٍ مِنْ رَبِّهِ،
كَمُعْجِزَاتِ الْأَنْبِياءِ السَّابِقِينَ؟ أَوْلَمْ يَأْتِ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ،
الْقُرْآنُ الَّذِي يَخْبِرُهم بِما فِي كُتُبِ الْأَنْبِياءِ، كَالْبِشْارَةِ بِمُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَأَخْبَارِ الْأَمَمِ الَّذِينَ سَأَلُوا أَنْبِياءَهم
الْآيَاتِ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا؛ فَأَهْلَكُنْهاهم؟

وَلَوْ أَهْلَكُنْا هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ قَبْلَ نُزُولِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِم، وَإِرسالِ
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهم؛ لَقَالُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ مُحْتَجِّينَ:
رَبَّنَا، هَلَّا أُرْسِلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ الْحَقُّ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ،
وَنُخْزَى بِالْعَذابِ؟

قُلْ لَهُمْ -يا مُحَمَّدُ-: كُلُّ مَنَّا وَمِنْكُمْ مُنْتَظَرٌ دَوائِرَ الزَّمانِ
بِالْآخِرِ، وَلِمَنْ يَكُونُ النَّصْرُ، فانتظروا، وَستَعْلَمُونَ مَنْ هُمْ أَهْلُ
الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ أَنَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ، وَستَعْلَمُونَ مَنْ كانَ مُهْتَدِيًا إِلَى
الْحَقِّ، وَمَنْ ضَلَّ عَنْهُ.